

أضواء البيان

@ 487 المذكورين في قوله : { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ { ، وقوله :
 { وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جثيًا } قاله القرطبي . و[] تعالى أعلم . قوله
 تعالى : { قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَا يَمْدُدُ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا }
 حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمْسَاكًا السَّاعَةِ
 فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا } . في معنى هذه الآية
 الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء ، وكلاهما يشهد له قرآن : .
 الأول أن [] جل وعلا أمر نبيه صلى [] عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يقول هذه
 الكلمات كدعاء المباهلة بينه وبين المشركين . وإيضاح معناه : قل يا نبي [] صلى [] عليه
 وسلم لهؤلاء المشركين الذين ادعوا أنهم خير منكم ، وأن الدليل على ذلك أنهم خير منكم
 مقاماً وأحسن منكم ندياً من كان منا ومنكم في الضلالة أي الكفر والضلال عن طريق الحق
 فليمدد له الرحمن مداً ، أي فأمهله الرحمن إمهالاً فيما هو فيه حتى يستدرجه بالإمهال
 ويموت على ذلك ولا يرجع عنه ، بل يستمر على ذلك حتى يرى ما يوعدده [] ، وهو : إما عذاب
 في الدنيا بأيدي المسلمين ، كقوله { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ }
 { أو بغير ذلك . وإما عذاب الآخرة إن ماتوا وهم على ذلك الكفر . وعلى ذلك التفسير فصيغة
 الطلب المدلول عليها باللام في قوله { فَلَا يَمْدُدُ } على بابها . وعليه فهي لام الدعاء
 بالإمهال في الضلال على الضال من الفريقين ، حتى يرى ما يوعدده من الشر وهو على أقبح حال
 من الكفر والضلال . واقتصر على هذا التفسير ابن كثير وابن جرير ، وهو الظاهر من صيغة
 الطلب في قوله { فَلَا يَمْدُدُ } ونظير هذا المعنى في القرآن قوله تعالى : { فَمَنْ
 حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
 أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ
 ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِسَعْنَتِ اللَّهِ عَلَيَّ وَالْكَاذِبِينَ } لأنه على ذلك
 التفسير يكون في كلتا الآيتين دعاء بالشر على الضال من الطائفتين . وكذلك قوله تعالى في
 اليهود : { فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } في (البقرة والجمعة)
 عند من يقول : إن المراد بالتمني الدعاء بالموت على الكاذبين من الطائفتين ، وهو
 اختيار ابن كثير . وظاهر الآية لا يساعد عليه . .
 الوجه الثاني أن صيغة الطلب في قوله { فَلَا يَمْدُدُ } يراد بها الإخبار عن سنة [] في
 الضالين . وعليه فالمعنى : أن [] أجرى العادة بأنه يمهل الضال ويملي له فيستدرجه

